

# سُورَةُ الْحَسْرَةِ



**النَّزُولُ:** مدنية.

عن سعيد بن جبیر، قال: قلت لابن عباس: سورة التوبة؟ قال: التوبه هي الفاضحة، ما زالت تنزل: ومنهم، ومنهم، حتى ظنوا أنها لم تُبْقَ أحداً منهم إلا ذُكِرَ فيها. قال: قلت: سورة الأنفال؟ قال: نزلت في بدر. قال: قلت: سورة الحشر؟ قال: نزلت في بنى النضير.

(صحيح البخاري ٤٩٧ / ٨ - كتاب التفسير - سورة الحشر برقم ٤٨٨٢).

## **المَقَاصِدُ:**

- ١ - بيان عقوبة نقض العهد.
- ٢ - بيان أحكام الفيء والغ尼مة، وحق الفقراء في ذلك.



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ أَعْزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾١ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَبِ مِنْ دِيْرِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَسْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُونُكُمْ أَنَّهُمْ مَا نَعْتَهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَإِنَّهُمْ أَنَّهُمْ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْسِبُوا وَقَدْ فَيْ قُلُوبِهِمْ الرُّوعَ يُخْرِجُونَ بِيُوتِهِمْ يَا أَيُّهُمْ وَيَا إِيَّى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَرُوْ رِيَّا تَأْوِلِ الْأَبْصَرِ ﴾٢ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴾٣ ذَلِكَ يَأْتِهِمْ شَافِعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقْ أَللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾٤ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِسَنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا فَإِيمَةً عَلَى أُصُولِهَا فَإِذَا ذِي أَللَّهِ وَلِيُخْرِجَ الْفَسِيقِينَ ﴾٥﴾

### ١ - سبب النزول:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كانت غزوة بنى النضير - وهم طائفة من اليهود - على رأس ستة أشهر من وقعة بدر، وكان منزلهم ونخلتهم بناحية المدينة، فحاصرهم رسول الله صلوات الله عليه وسلم حتى نزلوا على الجلاء وعلى أن لهم ما أقلت الإبل من الأمتעה والأموال إلا الحلقـة - يعني السلاح - فأنزل الله فيهم: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ أَعْزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾١ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَبِ مِنْ دِيْرِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَسْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا﴾ فقاتلهم النبي صلوات الله عليه وسلم حتى صالحهم على الجلاء، فأجلـهم إلى الشام، وكانوا من سبـط لم يُصـبـهم جـلاء فيما خـلا، وكان الله قد كتب عليهم ذلك. ولو لا ذلك لعذـبـهم في الدنيا بالقتل والسبـيـ. وأما قوله: ﴿لِأَوَّلِ الْحَسْرِ﴾ فكان جـلـاؤـهم ذلك أول حـسـرـ في الدنيا إلى الشام. (هـذا حـدـيـثـ صـحـيـحـ عـلـىـ شـرـطـ الشـيـخـيـنـ وـلـمـ يـخـرـجـاهـ) (المـسـتـدـرـكـ / ٤٨٣ / ٢ - كـتـابـ التـفـسـيرـ) وـصـحـحـهـ الـذـهـبـيـ).

**التفسير:**

**يُبَيِّنُ اللَّهُ تَعَالَى قَدْرَتَهُ الْعَظِيمَةُ، وَكُثْرَةُ تَسْبِيحِ مَخْلُوقَاتِهِ، وَسَعَةُ مَلَكُوتِهِ :** إِنَّ جَمِيعَ الْمَخْلُوقَاتِ فِي السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَالْأَرْضِ السَّبْعِ كُلُّهَا تَلْهُجُ بِالْتَسْبِيحِ وَالْتَحْمِيدِ لِرَبِّهَا، وَتُمَجِّدُهُ وَتَقْدِسُهُ، وَهُوَ سَبَّاحُهُ الْعَزِيزُ فِي خَلْقِهِ، الْحَكِيمُ فِي تَدْبِيرِ شَوَّونَهُمْ .

**٢ - اللَّهُ سَبَّاحُهُ هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَذَّبُوا رَسُولَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ يَهُودِ بَنِي النَّضِيرِ مِنْ دِيَارِهِمْ -** الَّتِي جَاءُوهُ بَهَا الْمُسْلِمُونَ حَوْلَ الْمَدِينَةِ - عِنْدَ أَوَّلِ إِجْلَاءِ لَهُمْ مِنْ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ إِلَى الشَّامِ، مَا ظَنَّتْنَاهُ - أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ - أَنْ يَخْرُجُوا؛ لِشَدَّةِ حَصْوَنَهُمْ وَقَوْتَهُمْ، وَظَنَّ بَنُو النَّضِيرِ أَنَّ حَصْوَنَهُمْ تَحْمِيهِمْ مِنْ أَيِّ اقْتِحَامٍ، فَجَاءُهُمْ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُنْ فِي بَالِهِمْ، فَأَلْقَى فِي قُلُوبِهِمُ الْخُوفَ، يَقُولُونَ بِخَرَابِ بَيْوَتِهِمْ بِشَدَّةِ مِنَ الدَّاخِلِ؛ لَئَلَّا يُسْكِنُهُمُ الْمُسْلِمُونَ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يُخْرِبُونَ سَائِرَ الْجَوَانِبِ مِنْ ظَاهِرِهَا؛ لِيَقْتَحِمُوهُمْ حَصْوَنَهُمْ، فَاتَّعَظُوا يَا أَهْلَ الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ .

**٣ - وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَضَى عَلَيْهِمْ بِالْخُرُوجِ مِنْ دِيَارِهِمْ؛ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا بِالْقَتْلِ وَالسَّبِيءِ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ نَارِ جَهَنَّمِ .**

عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن يهود بنى النضير وقريطة حاربوا رسول الله صلوات الله عليه وسلم، فأجلى رسول الله صلوات الله عليه وسلم بنى النضير، وأقرَّ قُرْيَطَةً وَمَنْ عَلَيْهِمْ، حتى حارت قريطة بعد ذلك، فقتل رجالهم، وقسم نسائهم وأولادهم وأموالهم بين المسلمين. إلا أن بعضهم لحقوا برسول الله صلوات الله عليه وسلم، فآمنُهم وأسلَمُوا. وأجلى رسول الله صلوات الله عليه وسلم يهود المدينة كلهم: بنى قينقاع (وهم قوم عبد الله بن سلام)، ويهود بنى حارثة، وكل يهودي كان بالمدينة. (صحيح مسلم ١٣٨٧ / ٣ - ١٣٨٨).  
كتاب الجهاد والسير، باب إجلاء اليهود من الحجاز - برقم (١٧٦٦).

**٤ - ذَلِكَ الْعَقَابُ الْعَظِيمُ مِنَ الْجَلَاءِ؛ بِسَبِّ أَنَّهُمْ خَالَفُوا أَمْرَ اللَّهِ وَأَمْرَ الرَّسُولِ صلوات الله عليه وسلم بِعِنَادٍ. وَمَنْ يَخْالِفُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَقَابِ لَهُ .**

**٥ - سبب النزول:**

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: حرق رسول الله صلوات الله عليه وسلم نخل بنى النضير وقطع، وهي البويرة، فنزلت: **﴿مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِسَنَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُهَا قَلِيلًا﴾** عَلَى أَصُولِهَا فَيَادِنُ

. ( صحيح البخاري ٣٨٣ / ٧ - كتاب المغازي، باب حديث بنى النضير برقم ٤٠٣١ . صحيح مسلم ١٣٦٥ / ٣ - كتاب الجهاد والسير، باب جواز قطع أشجار الكفار وتحريقيها، برقم ١٧٤٦ . والبويرة موضع منازل بنى النضير بالمدينة. وذكر البلادي أنها لم تُعد معروفة (معجم المعالم الجغرافية في الحجاز، ص ٥١) .

### التفسير:

ما قطعتم - أيها المؤمنون - من نخلة أو تركتموها باقيةً على ساقها كما كانت، فبأمر الله ورضاه، ولِيُذَلَّ الخارجين عن طاعته.

### الفوائد والاستنباطات:

- ١ - تذكير الله تعالى للمؤمنين بتسبيحهم له تسبيح شُكْرٍ؛ على ما مَكَنُهم من فتح بلاد بنى النضير.
- ٢ - التعريض ليهود بنى النضير بأنَّهم أصابهم ما أصابهم لتكبُّرِهم عن تسبيح الله حَقَّ تسبيحه بتصديق رسوله ﷺ .
- ٣ - اليهود ذُرُوا غَدَرٍ ونَفَصٍ، لا يدومون على عهد.
- ٤ - تحريم الخيانة والغدر.
- ٥ - بيان أكبر عبرة في خروج بنى النضير، وذلك لما كان لهم من قوة، ولما عليه المؤمنون من ضعف. ومع هذا فقد انهزموا شر هزيمة وتركوا البلاد والأموال، ورَحَلُوا إلى غير رجعة. فعلى مثل هذا يتعظ المتعظون، فإنه لا قوة تنفع مع قوة الله، فلا يغتر العقلاة بقوتهم المادية، بل عليهم أن يعتمدوا على الله في كل حال.
- ٦ - إنَّ قَذْفَ الرُّعب فِي قُلُوبِهِم هو من أحوال إتيان الله إياهم من حيث لم يحسبوا، فتخصيصه بالذُّكر للتعجب من صنعه سبحانه.
- ٧ - احتاج بالأية (٢) في قوله تعالى: ﴿فَاعْتَرُوا يَتَأْوِلُ الْأَبْصَرِ﴾ بعض علماء الأصول؛ لإثبات حجية القياس بناءً على أنه من الاعتبار.
- ٨ - عطف لفظ الرسول ﷺ على لفظ الجلالة؛ تعظيمًا ل شأنه ، وبيان أنَّ طاعته من طاعة الله .

٩ - مَنْ يَعَادِ اللَّهَ يُعَذَّبُهُ : ﴿ذَلِكَ بِمَا تَمْهَدُ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ .

﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُولَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرْبَى فَلَلَّهُ وَلَلرَّسُولُ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَأَيْنَ السَّبِيلُ كَيْ لَا يَكُونُ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا أَنْذَكُمُ الرَّسُولُ فَحْذُوهُ وَمَا نَهَكُمْ عَنْهُ فَانْهُوَا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴾ ﴿لِلْفَقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيْرِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَتَعَوَّنُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضُوْنَا وَيَصْرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُونَ الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحْمِنُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَحْدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَاصَّةً وَمَنْ يُوقَ شَعَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوْنَ مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا وَلَا حَوَّنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غَلَّا لِلَّذِينَ أَمْتَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ ﴿١٠﴾

### التفسير:

٦ - وما أفاء الله على رسوله - والفيء: ما أخذ من مال الكفار بحق من غير قتال - من أموال يهودبني النضير، فلم تركبوا خيلاً ولا إبلًا لتحصيله، ولكن الله ينصر رسالته بقذف الرعب في قلوب من يشاء من أعدائه، فيستسلمون. والله على كل شيء قادر، لا يعجزه شيء.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حديثاً طويلاً ومنه: إِنَّ اللَّهَ قَدْ خَصَّ رَسُولَهُ صلوات الله عليه فِي هَذِهِ الْفَيْءِ لَمْ يُعْطِهِ أَحَدًا غَيْرَهُ ثُمَّ قَرَا: ﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُولَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ فكانت هذه خالصة لرسول الله صلوات الله عليه ووالله ما احتازها دونكم، ولا استأثر بها عليكم. (صحيح البخاري - فرض الخمس، باب فرض الخمس برقم ٣٠٩٣).

٧ - ما أفاء الله على رسوله من أموال الكفار فللله ولرسوله، يُصرَفُ في

صالح المسلمين، ولأقرباء النبي ﷺ من بنى هاشم وعبد المطلب، واليتامى الفقراء الذين مات آباؤهم قبل البلوغ، والفقراة، والغريب المسافر المنقطع عن ماله، وذلك حتى لا يكون المال ملكاً متداولاً بين الأغنياء وحدهم، وما أعطاكم الرسول ﷺ، أو شرعاً لكم، فخذوه، وما نهاكم عن أخذه أو فعله فانتهوا عنه، وخافوا الله بطاعة أحكامه. إنَّ الله شديد العقاب لِمَنْ عصاه. قال عمر رضي الله عنه: اجتمعوا لهذا الفيء حتى ننظر فيه، فإني قرأت آيات من كتاب الله استغنت بها، قال الله: ﴿مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقَرْيَةِ فَلَهُ وَلِرَسُولِهِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كُمْ لَا يَكُونُ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا أَنْتُمْ كُمُ الرَّسُولُ فَحُذِّرُوهُ وَمَا تَهْنَمُكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَأَنْتُمْ أَهْلُهُ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ والله ما هو لهؤلاء وحدهم، ثم قرأ: ﴿لِلْفَقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيْرِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَتَعَفَّنُونَ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّابِرُونَ﴾ والله ما هو لهؤلاء وحدهم، ثم قرأ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَعْفِرْ لَنَا وَلَا حَوْنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِإِلَيْمَنِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غَلَّ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفُ رَحِيمٌ﴾.

(أخرجه ابن أبي شيبة وسنده حسن. المصنف ٦٣٩/٧).

**٨ - وفي هذا الفيء حق للصحابية الفقراء المهاجرين، الذين أجهلهم كفار مكة إلى الهجرة من بلادهم، فتركوا الديار والأموال، يطلبون من الله الرزق الحلال ومرضااته، وينصرون دين الله ورسوله. أولئك أصحاب المنازل العالية هم الصادقون في إيمانهم.**

## ٩ - سبب النزول:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى رجلٌ رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أصابني الجهد. فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئاً، فقال رسول الله ﷺ: «ألا رجلٌ يُضيّفه الليلة يرحمه الله؟» فقام رجلٌ من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله. فذهب إلى أهله فقال لأمرأته: ضيف رسول الله ﷺ لا تَدَخِّريه شيئاً. فقالت: والله ما عندي إلا قوت الصّبيحة. قال: فإذا أراد الصّبيحة العشاء فنَوّمِيهِمْ، وتعالَى فأطفي السّراج، ونطوي بطوننا الليلة. ففعلت. ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ فقال: «لقد عَجِبَ اللَّهُ عَنِّكَ - أَوْ ضَحِّكَ - مِنْ فلانَةٍ». فأنزل الله عز وجل: «وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَاصَّةً».

(صحيح البخاري ٨/٥٠٠ - كتاب التفسير - سورة الحشر، باب (الآية) برقم ٤٨٨٩).  
وصحیح مسلم ٣/١٧٣ برقم ١٦٢٤ - كتاب الأشربة، باب إكرام الضيف وفضل إشاره. نحوه).

### التفسير:

يمدح الله تعالى الصحابة الأنصار رضي الله عنهما من أهل المدينة: يُحبّون الصحاة المهاجرين رضي الله عنهم، ويواسونهم بأموالهم، ولا يجد الأنصار في أنفسهم غيظاً وحسداً مما أُعطي إخوانهم المهاجرون من الغنيمة، ويُقدّمون المهاجرين والقراء على أنفسهم، ولو كان بهم حاجة وفقر، ومن سَلِمَ من البخل فأولئك أصحاب الدرجات الرفيعة، هم الفائزون في الدنيا والآخرة.

**١٠** - وَيُشَيِّنِي اللَّهُ سِبْحَانَهُ أَيْضًا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، الَّذِينَ جَاءُوا بَعْدَ الْأَنْصَارِ وَالْمَهَاجِرِينَ، يَلْهُجُونَ بِالْاسْتَغْفَارِ وَالدُّعَاءِ لِإِخْوَانِهِمْ، يَقُولُونَ دَائِمًا: رَبَّنَا أَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا، وَأَغْفِرْ لِإِخْوَانِنَا فِي الدِّينِ الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قَلْوَبِنَا حَسْدًا وَحِقْدَةً لِأَحَدٍ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ. رَبَّنَا إِنَّكَ رَوْفٌ بِالْمُؤْمِنِينَ، رَحِيمٌ بِهِمْ. ولقد استجاب الله تعالى لهم كما في قوله تعالى: ﴿وَنَرَعَنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍ إِنَّهُنَا عَلَى سُرُرٍ مُنْقَبَلِينَ﴾ [الحجر: ٤٧].

### الفوائد والاستنباطات:

**١** - عن عمر رضي الله عنه قال: كانت أموال بنى النضير ممّا أفاء الله على رسوله صلوات الله عليه وسلامه، ممّا لم يُوجّف المسلمين عليه بخيلاً ولا ركاباً، فكانت لرسول الله صلوات الله عليه وسلامه خاصةً، يُنفق على أهله منها نفقة سنته، ثم يجعل ما بقي في السلاح والكرياع عدّة في سبيل الله. (صحيح البخاري ٨/٤٩٨ - كتاب التفسير - سورة الحشر، باب (﴿وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾) برقم ٤٨٨٥. وصحیح مسلم ٣/١٣٧٦ - ١٣٧٧ برقم ١٧٥٧ - كتاب الجهاد والسير، باب حكم الفيء).

**٢** - مصارف الفيء حدّدها القرآن وفضّلها، حتى يُرضي كُلَّ أَحدٍ.

**٣** - الإسلام حريص على الحلول المستوعبة للمشكلات؛ ولذلك أعطى المهاجرين حتى يغتنوا ويستقلوا.

**٤** - وجوب طاعة الرسول صلوات الله عليه وسلامه فيما يأمر، والانتهاء عمّا نهى.

**٥** - عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله صلوات الله عليه وسلامه قال: «اتقوا الظلم؛ فإنَّ الظلم ظلمات يوم القيمة، واتقوا الشح، فإن الشح أهلك منْ كان قبلكم،

**حَمَلُهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحْلُوا مَحَارَمَهُمْ.** (صحيح مسلم - كتاب

البر، باب تحريم الظلم ١٨/٨. ط المكتب التجاري).

**٦ - بيان فضل المهاجرين بالهجرة وترك الديار، وفضل الأنصار**  
باليثار، وأن حبهم إيمان، وبغضهم كفران.

**٧ - فضيلة إيواء المهاجرين ومساعدتهم على العيش في دار الهجرة.**  
والمهاجرون هم الذين هاجروا في سبيل الله تعالى؛ فراراً بدينهم ونصرةً  
لإخوانهم المجاهدين والمرابطين.

**٨ - الفقراء المستحقون للفيء ثلاثة أقسام هم: المهاجرون، والأنصار،**  
ثم الذين اتبعوهم بإحسان.

**٩ - فضل الإيثار في حظوظ النفس والدنيا.**

**١٠ - خطر الشحّ، وهو البخل بما وجب إخراجه من المال، والحرص**  
على جمعه من الحلال والحرام.

﴿أَلَمْ تَرِ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْرَوْنَهُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لِئَنْ أُخْرَجُتُمْ لِنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا تُنْطِعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوْتُلُتُمْ لَنَصْرُكُمْ وَاللَّهُ يَشْهُدُ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ ﴾١١  
لِئَنْ أُخْرِجُوكُمْ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ فُوتِنُوا لَا يَنْصُرُوكُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوكُمْ لَيُؤْلِكُمُ الْأَذْبَرُ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴾١٢ لَأَنَّمُّ أَشَدُ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾١٣ لَا يُقْتَلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرْبِ مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُنُونٍ بِأَسْهُمْ بِيَنْهُمْ شَدِيدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴾١٤ كَمَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَرِبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾١٥ كَمَلَ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَنِ أَكُفُّرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمَيْنَ ﴾١٦ فَكَانَ عَيْتَهُمَا أَنْهَمَا فِي النَّارِ خَلِيلَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَرَأُوا الظَّلَمَيْنَ ﴾١٧﴾

**التفسير:**

**١١ - ألم تنظر - أيها الرسول - إلى المنافقين، يتقرّبون إلى إخوانهم يهود**

بني النصير، ويعدونهم بالنصر كذباً بقولهم: قسماً إن أخرجكم محمد ومن معه من دياركم؟ قسماً لنحرجنَّ معكم، ولا نطيع أمر محمد في قتالكم، ولا نسمع من أحد أبداً إذا أمرنا بخذلانكم، وإن قاتلكم أحد، لنعاونَّكم عليه. والله تعالى يشهد إنَّ المنافقين لكاذبون حقاً فيما وَعَدُوا به بني النصير. قال ابن كثير: «يخبر تعالى عن المنافقين كعبد الله بن أبي وأضرابه حين بعثوا إلى يهود بني النصير يعدونهم النصر من أنفسهم، فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَرَى إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوكُمْ يَقُولُونَ لِأَغْرِيَنَّهُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لِئَنَّ أَخْرِجْتُمْ لَنَحْرَجُوكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيهِمْ أَهَدًا أَبَدًا وَإِنْ فُوتَتُمْ لَنَصْرَنَّكُم﴾، وقال الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَشَهِدُ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ﴾ أي: لكاذبون فيما وعدوهم به».

**١٢ -** قسماً إن أخرج اليهود من ديارهم، لا يخرج المنافقون معهم أبداً، وقسماً إن قُوتل اليهود لا يقاتلون معهم، وقسماً إن قاتلوا معهم ليُؤْلَمُ الأدباء فراراً، ثم لا تنفعهم نصرة المنافقين.

**١٣ -** لأنتم - أيها المؤمنون - أشد مهابةً وخوفاً في صدور المنافقين واليهود من الخوف من الله. ذلك الرعب المخيف؛ بسبب أنهم قوم لا يفقهون قدرة الله وعقابه.

**١٤ -** لا يقدر اليهود على قتالكم - أيها المؤمنون - مجتمعين إلا إذا كانوا في قرى محصنة بالأسوار والخنادق، أو من وراء الحيطان؛ ليستروا بها. عداوتهم فيما بينهم شديدة، تظن أنهم مجتمعون على أمر واحد، ولكن قلوبهم متفرقة غير متفقة. ذلك الوصف الغريب بسبب أنهم قوم لا يعقلون اتباع الحق. صفة بني النصير فيما وقع لهم من الطرد والذلة، كصفة كفار مكة يوم بدر ويهدون بني قينقاع؛ إذ ذاقوا عاقبة إجرامهم، ولهم عذاب موجع.

**١٥ -** مثل المنافقين في خداع يهود بني النصير بالوعود الكاذبة، كمثل الشيطان حين خدع الإنسان بالكفر ثم تركه إذ قال له: إني بريء منك، إني أحاف عذاب الله خالق العالمين.

**١٦ -** فكان عاقبة الشيطان والإنسان الذي انتكس بالكفر أنهما في نار جهنّم، ماكثين فيها أبداً. وذلك العذاب الدائم جزاء المعتدين على حدود الله.

### الفوائد والاستنباطات:

- ١ - تقرير أنَّ الكافرين والمنافقين ملة واحدة.
- ٢ - المنافقون يُواهُون اليهود، ويربطون بهم ارتباط مصير.
- ٣ - خُلُفُ الْوَعْدِ آيَةُ النفاق، وعلامة البارزة.
- ٤ - تثبيت الرسول ﷺ والمسلمين وتأمينهم من بأس أعدائهم.
- ٥ - تقرير الرهبة التي يصاب بها أعداء الإسلام من رسول الله ﷺ ودينه، كما قال عليه الصلاة والسلام: «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةً شَهِيرًا». (أخرجه البخاري في كتاب التيم باب (١)، برقم (٣٣٥)، صحيح البخاري مع فتح الباري ٥١٩/١).
- ٦ - في الآيات تشجيع للمؤمنين على منازلة الكفار المقاتلين، والحمل عليهم، وتبشير لهم بأنهم المنصورون الغالبون.
- ٧ - في الآية (١٤) إخبار مستقبليٌّ، وتأكيدٌ لمواجهة اليهود لعباد الله المؤمنين، وقد وصف الله حال اليهود عند مواجهة المؤمنين بأنَّهم لا يُواجِهُونَهُم مجتمعين إلا في قرى محصنة بالأسوار والخنادق، أو من خلف الجدران.
- ٨ - من شِدَّةِ جُبْنِ اليهود وحُلَفَائِهِمْ أَنَّهُمْ لَا يُقاوِلُونَ إِلَّا مُتَحَصِّنِينَ مُجَمِّعِينَ.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَتَقْوَى اللَّهَ وَلَا تَنْظُرُ نَفْسًا مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَأَتَقْوَى اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾١٩﴾  
 ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَهُمْ أَنفُسُهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾٢٠﴾  
 يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾٢١﴾  
 لَوْ أَنَّ زَلَّا هَذَا  
 الْقَرْءَانَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتُهُ خَشِيعًا مُمَصَّدًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتَلَّكَ الْأَمْتَلُ نَسْرِيهَا لِلنَّاسِ  
 لَعَلَّهُمْ يَنْفَكِرُونَ ﴾٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَدَةُ هُوَ الرَّحْمَنُ  
 الرَّحِيمُ ﴾٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَدُوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمَهِيمُ  
 الْعَزِيزُ الْجَبَارُ الْمُتَكَبِّرُ سَيِّدُ الْعَالَمِينَ ﴾٢٤﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَلِيلُ الْبَارِئُ  
 الْمُصَوِّرُ لِهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يَسِّعُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾٢٥﴾

### التفسير:

**١٨ - ١٩** - يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بطاعة أوامره واجتناب نواهيه، ولتأمل كل نفس ما قدّمت من خير ليوم القيمة، ثم كرر الأمر بالتقى؛ لبيان أهميتها. إن الله خبير بكل ما تعملون في الدنيا، وينهاهم أن يكونوا كالذين نسوا ذكر الله، فعقابهم بنسیان حقوق أنفسهم. أولئك البداء عن الحق هم المخالفون أمر الله.

**٢٠** - لا يتساوى يوم القيمة أصحاب النار المعذبون، وأصحاب الجنة المنعمون، أصحاب الجنة هم الفالحون في الدنيا والآخرة.

**٢١** - يخبر الله تعالى عن مكانة القرآن الكريم وهيبيته في الخلق العظيم، فلو أنزله على جبل عظيم، ففهم ما فيه من الوعظ والذكر الحكيم، لرأيته على صلابته خاضعاً متشققاً من خشية الله تعالى. وتلك الأمثال العظيمة نبینها للعباد؛ لكي يتفكروا في آثار قدرة الله وتوحيده.

**٢٢** - يبین الله تعالى في الآيات الثلاث الأخيرة بعض أسمائه الحسنة وصفاته العلی، فإنه هو الله المعبد بحق لا إله إلا هو، عالم بما غاب عن علم جميع خلقه، عالم بما شاهدوه وعلموه، هو الرحمن بالخلق جميعاً في الدنيا، الرحيم بالمؤمنين في الدارين.

**٢٣** - هو الله سبحانه المعبود بحق لا إله إلا هو، الملك لجميع الأشياء، المتصرف فيها وحده، القدس: المنزه عن كل نقص، السلام: الذي سلم من كل عيب، المؤمن: المصدق رسالته وأنبياءه بإظهار المعجزات على أيديهم، المهيمن: الرقيب الحافظ لكل شيء، العزيز: الذي لا يغالب، الجبار: الذي قهر جميع خلقه، المتكبر: الذي له الكبرياء والعظمة، تنزه وقدس الله عن كل ما يلحقون به من الشركاء.

**٢٤** - هو الله سبحانه الخالق البارئ لجميع المخلوقات، المصور لخلقها كيف يشاء، له سبحانه الأسماء الحسنى الكثيرة، يلهمه له بالتسبيح والتحميد كل ما في السموات السبع والأرضين السبع، وهو العزيز في ملكته، الحكيم في تدبير شؤون مخلوقاته.

### الفوائد والاستنباطات:

- ١ - فضل التقوى وعظمتها .
- ٢ - وجوب التقوى بفعل الأوامر، وترك النواهي .
- ٣ - في الآيتين (١٨ - ١٩) إخبار مستقبلي عن عظم خبرة الله بما يعمله عباده - سواء في الماضي أو الحاضر أو المستقبل - فإنه لا يخفى عليه شيء من أعمالهم ، وهو مجازيهم عليها .
- ٤ - وجوب ذكر الله تعالى ، وعدم نسيانه؛ لأنَّ مَنْ نسي الله نسيه ، فلن يجد له ولِيًّا يواليه ، أو ناصراً ينصره .
- ٥ - وجوب التميُّز عن الكافرين ، والبعد عن مشابهة الكافرين .
- ٦ - توبیخ الإنسان على قسوة قلبه ، وعدم خشوعه عند تلاوة القرآن ، وقلة تدبره فيه .
- ٧ - وجوب مراقبة الله تعالى والنظر فيما قدَّم الإنسانُ للأخرة ، وما أَخَرَ .
- ٨ - استحسان ضرب الأمثال؛ للتنبيه والتعليم والإرشاد .

